من شؤون المسلمين والعالم

التبعية الخارجية

ومثال تركيا وباكستان

قد شهدنا من المعسكر الشرقي ألوان العداء الصريح والمبطن ، في أفغانستان وعدن وارتيريا وأوغادين وسواها .. في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، المحلية والدولية ، مؤامرات وانقلابات وحروباً واستغلالا .. وإذا بكثير من حكام المسلمين يرتمون أو يزدادون ارتماءً في أحضان المعسكر الغربي ، يبتغون عنده العزّة ويطلبون منه العون ، بعد أن فقدت قلوبهم اليقين بأنّ (العزّة لله جميعا) وجهلت معنى الاستعانة بالله ، وامتنعت أبصارهم عن رؤيــة الطريــق الصحيح للإعداد الحقيقي والاعتماد على القوى والطاقات الذاتية الكبيرة ..

وشهدنا من المعسكر الغربي ألوان العداء الصريح والمبطن ، في مصر والخليج وإيــران والفيليــبين وفي فلــسطين وسواها .. في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، المحلية والدولية ، مؤامرات وانقلابات وحروباً واستغلالا .. وإذا بكثير من حكام المسلمين يرتمون أو يزدادون ارتماء في أحضان المعسكر الشرقي ، يبتغون عنده العزّة ويطلبون منه العون ، بعد أن فقدت قلوبهم اليقين بأن (العزّة لله جميعا) وجهلت معنى الاستعانة بالله ، وامتنعت أبصارهم عن رؤية الطريق الصحيح للإعداد الحقيقي والاعتماد على القوى والطاقات الذاتية الكبيرة ..

والهجمة الشيوعية الشرسة في أفغانستان والقرن الإفريقي خاصة وفي بعض البلدان الإسلاميّة الأخــرى بــصورة عامّة .. تقابلها وترافقها هجمة رأسمالية غربية شرسة في فلسطين ومصر بصورة خاصة ، وفي بعض البلدان الإسلاميّة الأخرى بصورة عامّة ..

وما كادت تتقدّم القوات الروسية الشيوعية في أراضي أفغانستان ، ويزداد انتشار الأساطيل والقواعــد والخــبراء السوفييت ما بين عدن وسورية وسواحل باكستان ، حتى اندلعت حملة سياسية وإعلامية جديدة واســعة النطــاق ، تتحدّث عن استعداد الغرب للدفاع عن (دار الإسلام) ضدّ الخطر الشيوعي ، وعن ضرورة منحه المزيد من القواعــد العسكرية في الصومال إلى جيبوتي ، وفي الخليج إلى جانب عمان والبحرين ، وفي مصر إلى جانب الأرض المحتلــة .. لمواجهة الخطر السوفييتي ، وعن ضرورة فسح المجال له ليرسل المزيد من الخبراء والمدرّبين إلى العديــد مــن البلــدان الإسلاميّة الموالية له بحكامها .. حتى ترتفع نسبة هؤلاء (الخبراء والمدرّبين) مقابل عدد الجنود (المسلمين) إلى درجة لا

تبرّرها حاجة إلى خبرة ولا تدريب ، وإنّما هي الحاجة إلى حماية النظام الحاكم الموالي لبلد الخبير والمدرّب .. من دون أهل بلده المسلمين .. و ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ..

ودعوة الغرب والحكومات الموالية له في أرض المسلمين إلى مزيد من الاعتماد عليه تتركّز في هذه الأيـــام علـــى باكستان وتركيا بحجة أفغانستان .. وعلى مصر والصومال بحجة النفط الخام .. وعلى الخليج بحجّة إيران ..

وتكفي الإشارة العابرة إلى حقيقة الوضع الحاضر في تركيا وباكستان كمثال على نتائج التبعية الخارجية ، ســـواء ما كان منها للغرب أو كان للشرق على السواء

تقول التقارير المنشورة في العديد من الصحف والمجلات الغربية نفسها ، إنّ أكثر من ثلاثة أرباع أسلحة باكستان يعود العهد به إلى ما قبل أكثر من ثلاثين سنة ، إلى عهد حرب كوريا ومخلّفات الحرب العالمية الثانية .. بـــل يقـــول بعض تلك التقارير إنّ من الأسلحة الموضوعة في أيدي جنود باكستان اليوم ، ما يعـــود بـــه العهـــد إلى مخلّفـــات الإمبراطورية البريطانية من أوائل القرن الميلادي الحالي

وتقول التقارير إنّ الجيش التركيّ القادر على السيطرة العسكرية داخل تركيا لحماية إرث (أتـــاتورك) الثقيـــل ، عاجز كلّ العجز عن صمود عسكري حقيقي أمام أي عدوان خارجي أو صدام مسلّح -في قبرص مـــثلاً- فقوتـــه الضاربة اليوم لا تكاد تعادل ٦٠% ممّا كانت عليه في أوائل السبعينات

تقول التقارير إنّ الوضع الاقتصادي في باكستان منهار أو هو على حافة الانهيار ، فالعجز في الميزان التجـــاري لا تسدّه قروض مالية ضخمة من الخارج ، وتضخّم الأسعار لا تطيقه قوة شرائية تزداد ضعفاً باســـتمرار في الـــداخل ، والاستثمارات المالية في تناقص مستمرّ ، والمصانع تغلّق أبوابها أو تخفّض حجم إنتاجها وتـــسرّح العـــاملين فيهـــا ، والإنتاج الزراعي دون الحدّ الأدنى الذي كان يؤمل له أن يكون قبل أن تقوم الحكم بوتو السابق قائمة في البلاد

وتقول التقارير إنّ أبناء تركيا لا يكادون يجدون ما يسد رمقهم أو يدفع عنهم البرد من المواد الغذائية أو الوقود ، ناهيك عن المواد الاستهلاكية الأساسية الأخرى ، وقد أصبحت (بضاعة نادرة) لا يقدر على شـــرائها في الـــسوق السوداء غير المقرّبين الحزبيين من الحزبين الكبيرين الحاكمين -على التبادل- وقد تجاوزت نسبة البطالة ٢٠% ونـــسبة التضخم ١٢٠% ، ولا يزيد على مثل هذه الأرقام هولاً إلاّ الأرقام التي تتحدّث عن ضحايا الحوادث المتكررّة يومـــاً بيوم في مدن تركيا وقراها

الحديث المختصر لا يسمح بأكثر من هذه الإشارات العابرة عن وضع تركيـــا وباكـــستان .. ولكنّـــه يفـــرض التساؤل : من المسؤول عن هذا الوضع ؟ .. وأين المخرج منه ؟ ..

لقد تعاقبت على باكستان وتركيا حكومات مدنية وعسكرية ، ارتمت في التبعية الغربية ارتماءً لا يكاد يجد أحـــد مزيداً عليه من بعد ..

هل كان أكثر من أتاتورك وخلفاؤه وبوتو وأسلافه التصاقاً بالغرب قلباً وقالباً ، ظاهراً وباطناً ، ســـرّاً وعلنـــاً ، سياسةً واقتصادا .. وأخلاقا ؟ ..

أليس وضع باكستان وتركيا اليوم نتيجة مباشرة لتلك السياسة الرهيبة ؟ ..

لقد استمرت عضوية باكستان في الحلف المركزي وحلف جنوب شرق آسيا أكثر من ربع قرن .. ولا يوجد في باكستان اليوم سلاح حصلت عليه خلال تلك العضوية ، ومواقف الغرب في المنطقة تجاه باكستان أثناء الأزمات مع الهند معروفة ..

ومضى أكثر من نصف قرن على تركيا في ظلّ أوسع حملة (تغريب) ممكنة ، والحكام يكادون يلوون رقبةَ فردٍ فردٍ من أبناء تركيا المسلمين صوب الغرب من دون الحرمين الشريفين ، ولا يجد ابن تركيا –العضوة في حلـــف شمـــال الأطلسي– غذاء ولا كساء ولا دواء في هذه الأيام .. ومواقف الغرب في المنطقة تجاه تركيا أثناء أزمـــة قـــبرص وإلى اليوم معروفة ..

لقد ظنّ هؤلاء الحكام ، في باكستان وتركيا ، كما يظنّ كثير من الحكام في بلاد إسلامية أخـــرى ، أنّ الغـــرب يعاملهم معاملة الندّ للندّ إذا انضووا تحت لوائه .. أفلا يرون أنّهم هم الذين وضعوا ويضعون أنفسهم موضع التابع لا موضع الندّ ، ناهيك عن موضع السيّد الذي يحترم نفسه ويحمل رسالة الدعوة إلى الخير والهدى ؟ ..

يعتذرون بضعفٍ يجبرهم على استيراد السلاح ، وتأخّرٍ يرغمهم على استيراد منتجات الغرب المتقدّم ، وتـــسقط حجّتهم عند كلّ مبصر يلقي نظرة واحدة على نوعية ما يستوردون ، وعلى مواضع صرف أموال المـــسلمين الـــتي يتحكّمون بها .. ولكن متى كان يزول الضعف والتأخرّ على أيدي من يرسخونهما بالتبعية الذليلة الخارجية والظلـــم الداخلي الرهيب .. ويرفقون ذلك بما يتخذونه من وسائل ويتبعونه من أساليب لحماية وجودهم هـــم ، وحكمهـــم هم ، وإن ازداد الضعف والتأخّر .. إذ يسدّون الأبواب ، سائر الأبواب أمام أيّ مخلص ينشد العمل للتغيير ، ويعمل اعتماداً على أصالة هذه الأمّة ورسالتها ، وعلى طاقات أبنائها وثروات أرضها ، للخروج بها من فلك التبعيـــات إلى قمة السيادة ، ومن الظلم بأنواعه إلى حقيقة التحرّر والعدالة ، ومن الهوان والتأخّر إلى مستقبل التقدّم والكرامة ..

إنّ الطريق الحقيقية لمواجهة الشرق ومطامعه هي هي عينها الطريق التي لا بدّ من ســـلوكها لمواجهـــة الغـــرب ومطامعه .. وإنّ كلّ ارتماء في تبعية غربية هو هو عين الارتماء في التبعية الشرقية ، لا يؤدّي إلاّ لمزيد مـــن الخـــسارة والعار

ولا مخرج لتركيا وباكستان ، ولا لأيّ بلد إسلاميّ آخر .. إلاّ بالعودة الحقة إلى الإسلام كما أنزلـــه الله ، ديـــن حرية يأبى المذلّة لطاغوت متجبّر في الداخل أو طاغوت متسلّط من الخارج على السواء .. دين عزّة وكرامـــة يـــأبى العبودية والخضوع لحاكم ظالم أو عدوّ غاشم على السواء .. دين عمل وجهاد يأبى على دعاته المخلصين إلاّ التميّـــز بطريقهم عن كل تابع للشرق أو الغرب حاكماً كان أم سنداً لحاكم تابع ، وإلاّ الاستقلال بطريقهم عن كلّ لون من ألوان الرضوخ طوعاً أو كرهاً مباشرة أو غير مباشرة لتكبيل العمل الإسلاميّ الحرّ بقيود علنية أو خفيـــة ، وأغـــلال الإرهاب والتهديد أو الإغراء والترهيب على السواء

وعلى هذا الطريق الحرّ الأصيل نتابع المسير بعون الله ، حاملين لواء الإسلام العزيز كما أنزله الله .. حتى يتحقّـــق نصره الموعود للعاملين المخلصين ، ويجد المسلمون طريقهم من جديد إلى المستقبل الإسلاميّ المنشود